رأي كبار ساسة الغرب

في الحركة المدنية الجديدة في الشرق

قول كرومر في مصر والشرق

خطب لورد كرومر في مجلس الأعيان بلندره خطبة في موضوع اتفاق انكلترا وروسيا الأخير فيها كثير من العبر لنا ان كنا نعتبر فأحببت أن انبه الى ذلك بنقل جمل من ترجمة الخطبة ثم الاشارة الى مواضع العبرة فيها

قال: «ان الحال التي طرأت على الشرق منذ اعوام طوال وهي حال الانتقال من طور الى طور قد اشتدت وتعاظمت في هذه الأيام. فاننا نرى الغرب يسعى الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق في كل مكان أو الشرق يسعى من تلقاء نفسه لأن يقتبس من الغرب نظاماً للأحكام لم يألفه ولم يكن يعرفه. فأفضى ذلك الى إلقاء العناصر المتعاقبة المتضادة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية واحدة لتذوب وتصهر فيها ولا يعلم الا الله ما تكون نتيجة صهرها وامتزاجها معاً

«أما العناصر المتضادة المشار اليها فاذكرها الآن بالايجاز املاً أيها السادة ان أتفكم بان الكلام عنها دخلاً حقيقياً في مسألة الاتفاق الانكليزي الروسي.

أولاً اننا نرى العواطف الدينية المتأصلة في النفوس تصارع اللاأدرية أو ما يقرب من اللاأدرية في كل مكان ولا ريب ان اتصال الغرب بالشرق يوصل الى زعزعة الأركان الأدبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها. وثانياً اننا نرى في كل مكان تقريباً اقواماً ذوي عادات قديمة وآراء وأفكار ثابتة وميل شديد الى بقاء القديم على قدمه يتكلفون اليوم المجري في الأحكام على طرق غريبة عن الشرقيين ولا سابق علم لهم بها.

وثالثاً ان بين الخاصة المتعلمين والعامة الأميين في كل مكان من الشرق وخصوصاً في الهند ومصر بوناً بعيداً وهوة عظيمة اما العامة فلم يعملوا في هذه

الأيام الاعلى قليل من المعارف التي تزحزح حجب الجهل عن بصائرهم واما الخاصة المتهذبون فهل جانب عظيم من المعرفة ولكنها غير مختمرة بخمير الاختبار والعمل وهم يحاولون ان يحلوا بهذه المعرفة بعضاً من أعوص المسائل وأعسر القضايا التي يشغل حلها عقول الفحول من أهل السياسة والادارة

ولا نقس بعد ما ذكرنا نلاقي في بلادنا هذه صعوبات كثيرة . فان نمو الديمقراطية وانتشارها في بلادنا زاد صعوبات القضية التي وصفها المستر بريط منذ اعوام بقوله «انها قضية حكم شعب على شعب» يعني تدبير الشعب الانكليزي لأمور الشعب الهندي . قليت القين يشتغلون منا بالسياسة في هذه البلاد وهم لا يسمعون ما يقال، فيجزمون في الأمور ويفتون، ويقولون ما يشاءون عن هذه المسألة الشرقية ولا يحتاطون، ولا يقدرون عواقب ما يقولون — ليت هؤلاء يتذكرون احياناً تحذير الدوق ولنجتون حيث قال مخاطباً القوم « ان كنتم تضيعون الهند يوماً فكونوا على يقين ان البرلمان هو الذي يضيعها لكم » (استحسان) والذي أتذكره ان دوق ولنجتون انما قصد مجلساً واحداً من مجلسي البرلمان وهو غير مجلس الاعيان (ضحك واستحسان) .

ولا يغيب عن الاذهان أيضاً ان الحروب اليابانية الاخيرة أثرت في عقول الشرقيين تأثيراً عظيماً وخصوصاً عقول اهل الشرق الاقصى ولا عجب في ذلك كله فانما هو نتيجة اختلاط الشرق بالغرب وانتشار التمدن وتقدم المعارف والتعليم واتباع سياسة العقل والكمال التي لا تبقي الشعوب المحكومة غائصة في ظلمات الجهل حتى يسهل حكمها على الشعوب المتوسطة عليها . ولكن ذلك مما يوجب التفكير والتدبر ايضاً . لا اقول انه يوجب الهم والقلق وانما اقول انه يوجب على الامم التي لها املاك في الشرق ان تزيد عناية وسهراً ويقظة وحذراً مما كانت عليه في كل ما غبر من تاريخها اذ ليس يعلم أحد ما ستكون نتائج الاختمار الذي تطرق

الى افكار اهالي الشرق الاقصى بعد ما اضحى مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى التي كانت تربط الناس هناك مما . على اني أستنتج منذ الآن نتيجة يؤمن الخطأ فيها وهي ان المنافسات والمناظرات التي بين الامم

الغربية المخالفة للامم الشرقية قد زادت الصعوبة تعقيدا في حل كل المسائل الشرقية .

(وهنا ذكر مسألة المغرب الاقصى ومكدونية ثم قال)

وتأملوا مصر ايضا فاني منذ نحو سنتين ارسلت رسالة الى نظارة الخارجية البريطانية شرحت فيها اخطار حركة الجامعة الاسلامية على مصر فقوم قوم اتي بالتفت في امر ذلك الاخطار . ولتدارك تلك الحركة في المآل وتسكينها بوجه السرعة ظنوا ان توهمهم لم يخل من الصحة . على انني لم ابالغ في ما قلت بل اني اشبه ما يسمونه بحادثة سيتنا اليوم بصورة جلية واضحة ألقيت من فانوس سحري على حجاب سياسي فجلت الحقيقة لبصائر المتأملين وابانت ان الضغائن القومية يمكن ان تهيج وتتعاظم بسرعة عظيمة واظهرت الصعوبات الحقيقية المستطلة كل القضايا المتعلقة بالأحكام الشرقية فالنتيجة التي أستنتجها هي وجوب الترحيب بكل ما من شأنه تخفيف الخطر الذي ينجم عن تنافس الدول الاوربية وتناظرها في المسائل الشرقية . ولذلك ارحب بهذا الاتفاق بين انكلترا وروسيا لانه يؤدي الى توطيد اركان السلام في البلدان التي له علاقة بها ويسهل علينا حل القضايا الاوربية الاخرى التي يكون لهذه البلدان شأن عظيم فيها (انتهى) ه المراد من الخطبة

وجوه العبرة في كلام اللورد

العبرة في كلام اللورد من وجوه (أحدها) قوله ان الغرب يسعى الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق . فيجب على المشتغلين بالمباحث الاجتماعية منا ان يفهموا غرض الغرب من ذلك ليعرفوا هل هو خير لهم ام شر ام هو بين ذلك

(ثانيها) تمثيله لحالنا في ذلك الانتقال بإلقاء العناصر المتناقضة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية لتذوب وتصهر فيها . فيجب علينا ان نفقه معنى هذا التمثيل . ما هي هذه العناصر ؟ من هم الملقون لها في هذه البوتقة لتذوب فيها ؟ ما هو غرضهم من اذابة عناصرنا وما هو حفظنا منه ؟ هل نحن على بينة من هذا العمل وهل لنا اختيار فيه من حيث هو عمل اجتماعي كبير تنتقل به الامة من طور تعرفه الى طور تمثيله فتحسب انها تعرفه وهي لا تعرفه ؟؟

(ثالثها) تبرؤه من العلم بنتيجة ذلك العمل الذي أبرزه في قالب التمثيل

وتفويضه الى الله وحده . فاذا كان منه في علمه وعمله ، وحكمه واختياره ، وكون من أشهر صاغة البوتقة التي هي آلة صوغ الامم والشعوب لا يدري نتيجة عمله وعمل امثاله فهل يسهل على العناصر التي في البوتقة ان تكون أعلم بهذه النتيجة ؟! يجب التأمل الطويل وعدم الاغترار بالاحداث المعجبين بما أخذوا من الافرنج من الافكار والعادات التي هي علل الانقلاب

(رابعها) قوله ان العواطف الدينية الراسخة في نفوس اهل الشرق امست نصارع الالحاد والتعطيل وجزمه بأن اتصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة الاركان الادبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . ويمكن جعل هذين القولين مقدمتين لقياس منطقي ينتج نتيجة مزعجة جدا . فاذا كان الاحداث الذين يتجون كل ناعق بالوطنية والجنسية يحسبون ان هدم اركاننا القديمة امر نافع لسهولة احداث بناء آخر من الجنسية الوطنية فان اصحاب العقل والروية يرون ان البناء اعسر من الهدم وانا نستقبل اخطاراً كبيرة في التحول والانقلاب أراها اشد هولا مما تشير اليه هاتان المقدمتان من كلام اللورد اللتان اشار الى نتيجتها بعد بقوله ان مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى

« خامسها » قوله في خواص المثقفين والعارفين منا أن معرفتهم غير مختمرة بخميرة الاختبار

« سادسها » بيان التفاوت بين عامة الشعب وخاصته وهذا التفاوت يكون دائما مثار التخالف واللامة لا تقوى وتعز الا اذا تكونت من أفراد متقاربين في الافكار والاخلاق والعادات . ألا ان هذا التفاوت بين افرادنا وبيوتنا لمثار خطر عظيم

« سابعها » وهو بالنسبة الى المصريين اهمها قوله « ان الضغائن القومية يمكن ان تهيج وتتعاظم بسرعة عظيمة » فهذا أقوى ما يهيج أهل أوربا على أهل الشرق !!

« ثامنها » كلامه في الاختبار التي تطرق الى اهل الشرق الاقصى — وهو الذي حكم بحرمان اهل المعرفة والتهذيب في الشرق الأدنى منه — وقد يوضح هذا النوع من العبرة ما كتبه مكاتب التيمس في بكين عاصمة الصين اليها في ذلك وهاك موضع العبرة منه نقلا عن القطم بتصرف لفظي يسير وعنوان جديد وهو :